تجليات الخطاب الثوري في رائعة الأفيون والعصا بين الرواية وسيناريو الفيلم

The manifestations of the revolutionary discourse in the splendor of opium and the stick between the novel and the film script

*بن عزوزي عبد الله
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)
abdellah.benazouzi@univ-mascara.dz

تاريخ الارسال2020/11/17	تاريخ التقييم2020/12/08	تاريخ القبول2020/12/30

الملخص

من الطبيعي أن تعتمد السينما على العديد من الروافد التي أثرت أفلامها بالعديد من التيمات التي عالجت حقائق مهمة في حياة المجتمعات وتطلعاتها وهو الأمر كذلك بالنسبة للسينما الثورية الجزائرية التي اعتمدت على روافد عدة لإعادة حكي تاريخ الثورة وتوثيقه بالصورة والصوت ولأن الأدب الجزائري كان ثريا بالروايات والقصص التي تحدثت عن أمجاد الثورة الخالدة فانه كان منبعا مهما لكتاب السيناريو والمخرجين الجزائريين في صياغة أعمالهم السينمائية الثورية ولعل خير مثال على ذلك هو فيلم الأفيون والعصا الذي يعتبر أفلمة للرواية الشهيرة لمولود معمري والتي تحمل العنوان نفسه . لذلك نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على نموذجين مهمين من الأعمال الإبداعية كونهما يعالجان التيمة الثورية نفسها ويتعلق الأمر برواية الأفيون والعصا لمولود معمري وفيلم الأفيون والعصا لأحمد راشدي محاولين إجراء مقاربة على مستوى التيمة الثورية ودراسة كيفية تناولها في كل نموذج منهما سواء ما تعلق بالأدب أو السينما .

كلمات مفتاحية:

الأفيون والعصا؛ أحمد راشدي؛ التيمة ؛ الثورة؛ الأدب؛ السينما؛ الفيلم؛ السيناريو؛ الرواية؛ مولود معمري.

Abstract:

It is natural for cinema to rely on many tributaries whose films have influenced many themes that dealt with important facts in the lives of societies and their

aspirations, which is the same for Algerian revolutionary cinema, which relied on several tributaries to re-tell the history of the revolution and document it with image and sound, and because Algerian literature was rich in novels and stories that I talked about the eternal glories of the revolution, because it was an important source that we aim through this study to shed light on two important models of creative work as they deal with the revolutionary theme itself and it is related to the novel opium and the stick by Mawlid Mamari and the film Opium and Stick by Ahmed Rashdi, trying to conduct an approach on the level of the revolutionary theme and study how to approach it In each of them, whether related to literature or cinema.

Keywords:

Opium and stick ;Ahmed Rashdy ; Theme ;revolution ;literature ;Cinema; the movie ; Cinematic script ; the novel ;Mouloud Mamari..

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

تمثل الأعمال الأدبية مصادر مهمة لاستلهام الموضوعات السينمائية، مما يشكل علاقة وطيدة بين السينما والأدب، نظرا لثرائها بالموضوعات والقصص المليئة بالقيم والتشويق، حيث تناولها المبدعون السينمائيون وأعادوا صياغتها في شكل قصص مصورة على الشاشة، حيث أن العديد من الأفلام قد اقتبست من روايات أدبية أو قصص نالت نجاحا باهرا،أغرت كتاب السيناريو ، كي يحولوها فيما بعد، إلى سيناريوهات سينمائية ، جعلت السينمائي بين إعادة تجسيد تيمة الثورة بالصورة والصوت ، ومحاولة إضفاء فلسفته على مضمون الرواية التي اقتبس منها موضوعه ، أو ربما يدفعه الأمر إلى تجاوز بعض الشخصيات أو المواقف لأسباب تهم المخرج ذاته ، الأمر الذي خلق في كثير من الأحيان صراعا بين الأدباء والسينمائيين، في قضية الحفاظ على فكر الأديب أثناء تحويل أحد أعماله إلى فيلم

سينمائي، خاصة وأن ظاهرة اقتباس تيمة الثورة من الأعمال الأدبية ظاهرة باتت شائعة في تاريخ أرشيف السينما الجزائرية .

كيف تعامل السينمائيون الجزائريون مع الأدب الثوري الجزائري؛ وكيف تمت معالجة تيماته سينمائيا ؟.

للإجابة عن هذه الإشكالية؛ راودتنا العديد من الفرضيات والتساؤلات الفرعية التي تعتبر نقاطا مهمة، لتقصي طبيعة التيمة وتمظهرات الخطاب الثوري، في كل من الأدب الثوري والسينما الجزائرية .

1 - حدود التداخل بين الأدب والسينما الجزائرية .

2 - تجليات تيمة الثورة التحريرية في السينما والأدب .

3 - كيف تم تحويل مضامين الأدب الثوري إلى أفلام سينمائية بالصورة والصوت ؟.

4 - هل تمت معالجة تيمة الثورة في فيلم الأفيون والعصا بنفس المضمون والرسائل والشخصيات ..وغيرها من عناصر الخطاب الثوري في رواية مولود معمري ؟.

يدفعنا الحديث عن تيمة الثورة بين الأدب والسينما، إلى النظر في تيمات العديد من الأعمال الأدبية الناجحة، التي حولت إلى أفلام سينمائية، لذلك فان الهدف من هذه الدراسة هو إبراز فلسفة كل من الأديب والسينمائي، في معالجة تيمة الثورة من وجهات نظر مختلفة، كل حسب معطياته واديولوجياته، ومنطلقاته وكذا المعطيات والأسلوب الذي يفرضه الجنس الأدبي أو الفني على صاحبه، في معالجة هذه التيمة، هذا فضلا عن الانتماء العرقي ...وغيرها من العوامل والأسباب.

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى واحد من الأعمال السينمائية الناجحة والمقتبس من رواية الأفيون والعصا لمولود معمري، محاولين إجراء مقاربة بسيطة حول كيفية تناول التيمة، من الناحية الموضوعاتية بين النص الأدبي للرواية والسيناريو السينمائي للفيلم، لذلك فقد ركزنا في دراستنا وتحليلنا على التطرق للمصادر الأدبية التي كانت روافد مهمة لتيمة الثورة في السينما الجزائرية، كما اخترنا فيلم الأفيون والعصا والرواية، التي تحمل العنوان نفسه كمصدر للتيمة الثورية فيه؛ نموذجين مهمين للدراسة، محاولين الجمع بين الوصف والتحليل، في دراسة تجليات الخطاب الثوري بين الفيلم والرواية .

2. المصادرالأدبية لكتابة السيناريو في السينما الجزائرية .

تعتبر الأعمال الأدبية، من أهم المصادر التي يستلهم منها كاتب السيناريو، موضوعاته السينمائية وتتنوع هذه الأعمال الأدبية التي تعتبر مصادر لصياغة السيناريو، بين" القصة القصيرة أو الرواية الطويلة أو النص الأدبي أو المسرحي أو المقالات الأدبية الصغيرة، وأهم ما يصادف الكاتب، عند إعداد السيناريو عن قصة أدبية أو رواية، هو مشكلة الاختيار ..اختيار ماذا يأخذ منها، وماذا يترك، وكذلك ماذا يضيف، وماذا يحذف ...وعلى ذلك، يجب على كاتب السيناريو،أن يقرأ العمل الأدبي بعقل مفتوح، ويرى ما الذي يستهويه منه، ويدون ملاحظاته وانطباعاته ...ويعاود القراءة مرة أخرى،ويصحح ويحذف ويضيف، لما كتبه، وعند الاطمئنان، يقفل صفحات العمل الأدبي ...كي لا تصبح رقيبا،تعرقل خطواته، وتحد من حريته، فليس على الكاتب أن يستلزم بالنص الأدبي، وإنما يجب أن يلتزم بما أعجبه وما استهواه وما كان له دعما، في الخروج بصورة معبرة، وفيلم جيد، سواء كان ذلك، في البناء القصصي أو الشخصيات،أو المضمون أو البيئة أو الحوار."[1]

ويقتصر الاستلهام من الأدب على أهم الأعمال الأدبية الناجحة، نظرا لطبيعة موضوعاتها، التي حظيت باهتمام القراء والجماهير، مما جعلها محل اهتمام كتاب السيناريو، كي يعيدوا ترجمتها، إلى لغة الصورة، وتحويلها إلى أفلام سينمائية، لما فيها من قيم وعبر وموضوعات مشوقة، ومضامين مختلفة تهم المشاهد وتستهويه.

فعلى سبيل المثال نجد أن" السينما العربية وعلى رأسها السينما المصرية، تعتمد على ثرائها الأدبي والأعمال الناجحة لأدبائها، حيث استوحى كتاب السينما أعمالهم، من النصوص الأدبية والروايات إلى درجة أن العديد من الأدباء، قد ولجوا عالم السينما واستفادوا من تقنيات الكتابة السينمائية، فأصبحت رواياتهم أفلاما ناجحة بامتياز،منهم على سبيل المثال نجيب محفوظ، الذي حول رواياته إلى أفلام سينمائية أهمها :بداية ونهاية عام 1960 أو اللص والكلاب عام 1963.الخ[2].

لم تظهر علاقة السينما والأدب في الدراما المصرية فحسب، بل إن هذه الظاهرة تبدوا واضحة جدا في السينما العربية والعالمية بشكل عام، لما لها من دور فعال في إبراز هويات

الأمم وتطلعاتهم وخصوصياتهم، فالسينما الجزائرية هي الأخرى، اعتمدت على روايات أدبية ناجحة بامتياز، تناولت وقائع هامة من تاريخ الأمة الجزائرية، خاصة في مجال الأفلام الثورية، ومع أن عملية اقتباس السيناريوهات السينمائية، من الأعمال والروايات الأدبية في الجزائر، لم ترق إلى مستوى نظيرتها المصرية، إلا أنها اعتبرت تجربة متميزة من خلال مجموعة من الأفلام مثل" فيلم " نوة " لعبد العزيز طولبي والمقتبس عن قصة للطاهر وطار عام ،1972 وهي قصة استفاد منها المخرج ليقدم فيلما تسجيليا عن الواقع الصعب للفلاحين الجزائريين قبل الثورة، وفيلم "ريح الجنوب" الذي أخرجه محمد سليم رياض، والمقتبس عن رواية ريح الجنوب للكاتب الروائي عبد الحميد بن هدوقة، وكذا فيلم "الأفيون والعصا"، للمخرج أحمد راشدي والمقتبس عن رواية بنفس العنوان للكاتب مولود معمري [3]، حيث عبرت هذه الأفلام عن واقع حرب التحرير وجسدت الهوية و الخصوصية التي تميز هذه الأمة.

وعليه يتطلب الأمر من السيناريست، حسن التعامل مع النصوص الأدبية، واختيار ما يستهويه ويناسبه منها، بغية الخروج بسيناريو سينمائي، يحول فيما بعد إلى فيلم مشوق، حيث يسعى إلى تحويل النص الأدبي - قصة أو رواية ...الخ - من صورته الأدبية إلى مجموعة من الصور والأصوات والمناظر ...الخ وبذلك يتحول النص من صورته الأدبية إلى صورة سمعية بصرية، صالحة للمشاهدة على الشاشة، إذ لا يتم ذلك، إلا بعد إخضاع النص الأدبي، إلى قواعد الكتابة السينمائية.[4] ، وإذا كانت السينما فنا تواقا إلى الموضوعات المغرية والرموز والأيقونات المعبرة، فهي لم تكتف بالأدب والروايات كمصدر لاقتباس السيناريوهات فقط، بل إن مصادرها تبقى متعددة ومتنوعة من خلال محاكاتها للحياة والواقع الاجتماعي والسياسي، الذي يشكل هو الآخر، منبعا مهما للأفكار والموضوعات، الصالحة لتناولها في شكل سيناريو سينمائي.

عرفت السينما الجزائرية تداخلا قويا بين الإنتاج الأدبي والسينمائي، وبات من الواضح جدا أن الأدب أصبح يغذي الانتاجات السينمائية بالعديد من المواضيع الشيقة، خاصة في ما يخص الأفلام الروائية الثورية، التي استلهمت مواضيع العديد منها، من الأعمال الأدبية، للتعبير عن الواقع المعاش إبان الثورة، وإعادة تجسيد القصص والروايات الأدبية

في أفلام ثورية روائية بامتياز، عن طريق الصورة الحية أمام المشاهد، من خلال استخدام مختلف تقنيات الإبداع السينمائي، مما يؤكد على ذلك التداخل والتكامل بين الأدب والسينما الثورية الجزائرية، إذ تبدوا ملامحه واضحة في الأفلام الروائية وهو ما يؤكده الروائي والأديب عبد الحميد بن هدوقة في حديثه عن العلاقة بين الأدب والسينما حيث يقول : " العلاقة بين الأدب والسينما علاقة غائية مستقبلية، كل منهما يحاول بوسائله الخاصة، تغيير واقع معاش إلى واقع متصور ...بالإضافة إلى هذه العلاقة الغائية، هناك كثير من الأشياء المشتركة بينهما، فالتعبير يعني الإحساس بالشيء، يعني التصور الفرداني لما يحس به الكاتب، والفنان إزاء واقع معين.." [5] ، لذلك فان تكامل العلاقة بين الأدب والسينما جعل من الأدب أحد أهم الروافد، التي تمد المبدعين السينمائيين الجزائريين، بأفكار ومواضيع زاخرة بالقيم والتشويق والإثارة .

وهكذا تعتبر الأعمال الأدبية مصدرا مهما، أسفر عن كتابة العديد من السيناريوهات وصناعة أفلام ثورية بامتياز؛ وإذا كانت مختلف الأشكال الأدبية، تعتبر من أهم مصادر كتابة السيناريو في السينما العالمية، فان السينما الجزائرية هي الأخرى قد اعتمدت على الأدب كرافد قوي لاستلهام المواضيع والقصص الشيقة، في كتابة سيناريوهات أفلامها الروائية، حيث سارت على نهج السينما العالمية، التي يؤكد روادها على أهمية استلهام مادتها من مختلف أشكال الأدب، مثل: "الرواية الأدبية والمسرح، اللذان يعتبران من أهم مصادر السيناريو، حيث نقلت السينما منهما العديد من المواضيع والقصص الشيقة، وحولت هذه الأشكال الأدبية إلى أعمال سينمائية بالصورة والصوت، حيث تترجم الصورة الذهنية في الأدب، إلى صورة مرئية في السينما، و تخاطب ذهن المشاهد، وتستثير حواسه ويستوعبها عقله بعد المشاهدة، مما يؤكد على ذلك التكامل والتداخل بين الأدب بألوانه المختلفة، والفيلم السينمائي والروائي منه بشكل خاص.[6] حيث تشكل فيه مختلف الأعمال الأدبية،مادة مهمة في صياغة السيناريو.

يتجلى هذا التداخل بين الأدب والسينما الثورية الجزائرية، في العديد من الأفلام الروائية التي اقتبست قصص سيناريوهاتها، من أعمال أدبية تناولت هي الأخرى موضوع الثورة التحريرية، وهي قائمة كبيرة، تؤكد على ذلك التكامل بين الإنتاج الأدبي والسينمائي في

الجزائر؛ ومن بين تلك الأفلام نجد " فيلم نوة للمخرج عبد العزيز طولبي 1972، الذي استلهمت قصته من قصة قصيرة للطاهر وطار، تدور أحداثها حول الواقع المر الذي عاشه الجزائريون أياما قبل اندلاع الثورة، جراء الظلم والطغيان وتعسف النظام الجائر للسلطات الاستعمارية، وفيلم حسن طيرو لمحمد لخضر حامينا 1968، وتم استلهام قصته من مسرحية كتبها الراحل رويشد، تحمل العنوان نفسه، ومثلها على الركح، حيث عاد حامينا إلى هذا النص المسرحي، واقتبس منه سيناريو فيلم سينمائي، وبهذا حولها من مسرحية إلى فيلم ثوري بصيغة روائية، و بعد سبع سنوات من إنتاج هذا الفيلم عاد مصطفى بديع إلى الاقتباس من مسرحيات رويشد، وهذه المرة كان عنوان الفيلم هو هروب حسن طيرو واقتبس موضوع وقصة السيناريو فيه أيضا من مسرحية تحمل العنوان نفسه للراحل رويشد أيضا، إضافة إلى فيلم الأفيون والعصا لأحمد راشدي 1970، الذي استلهم فيه موضوع السيناريو وقصته من رواية للكاتب مولود معمري، [7]. وغيرها من الانتاجات السينمائية الروائية التي يتجلى من خلالها، ذلك التداخل والتكامل في الإبداع بين الأدب الثوري والسينما الثورية الجزائرية حيث أن الأعمال الأدبية، مثل القصص والروايات والنصوص المسرحية، كانت تمثل مادة مهمة لاستلهام المواضيع والقصص الشيقة عن الثورة التحريرية، بينما يسعى كتاب السيناريو، الى تحويلها الى سيناريوهات سينمائية، ليتم إخراجها إلى أفلام روائية ثورية بامتياز.

1.2 فيلم الأفيون والعصا لأحمد راشدي L'opium et le bâton –:

يعد فيلم الأفيون والعصا من أهم روائع السينما الثورية الجزائرية ؛ هذا الفيلم الذي تعددت فيه مختلف تقنيات الإبداع السينمائي، وتجسدت فيه العديد من الأحداث الثورية المشوقة، التي تسردها أحداث الفيلم، منذ البداية حتى النهاية، ويعد هذا الفيلم من بين العديد من الأفلام التي اقتبست سيناريوهاتها من أعمال أدبية،حيث كان مصدر السيناريو فيه، من رواية للروائي الجزائري، مولود معمري؛ لذلك يعد هذا الفيلم الشهير، من أكبر نجاحات السينما الجزائرية، وهو يعتبر "أول اقتباس أدبي في السينما الجزائرية،

حيث استلهم من رواية الكاتب مولود معمري، التي تدور أحداثها في منطقة القبائل، أثناء سنوات حرب التحرير المجيدة..."[8].

يتناول سيناريو الفيلم واقع الثورة التحريرية في منطقة القبائل،حيث يعالج أحداث الثورة في أرض المعركة، وفي عمق الجبال والأرياف، وتتمحور قصته حول بطولة المناضل علي ورفاقه من المجاهدين، الذين يشنون معارك طاحنة ويلقنون العدو درسا قبل أن يعدم مستشهدا أمام أهله وسكان قريته رميا بالرصاص، لينتهي الفيلم بتدمير القرية وتفجيرها، ويعالج سيناريو الفيلم، وقائع عديدة بأسلوب روائي، هذا فضلا عن تناول المخرج أحمد راشدي في سيناريو الفيلم، العديد من الحقائق المتعلقة بالثورة، في هذه المنطقة –منطقة القبائل- التي شهدت أحداثا كثيرة، إضافة إلى إبرازه للعديد من القيم والأفكار، التي أعطت الفيلم مصداقية كبيرة، منها نضال الأجانب والفرنسيين منهم إلى جانب الثوار الجزائريين، من خلال إبراز شخصية الجندي الفرنسي، الذي شارك الجزائريين ثورتهم، كما لم يغفل كاتب السيناريو ومخرجه أحمد راشدي، عن إبراز عملاء المستعمر وخونة الثورة التحريرية في الفيلم، وتناولهم في السيناريو، وذلك من خلال شخصية العميل الطيب .[9]. ، ومن خلال مختلف تلك الأحداث التي يعالجها، يعتبر الفيلم نموذجا مهما للأفلام الروائية الثورية، التي تطرقت لأحداث الثورة في قلب المعركة، ورغم أن مصدر الفيلم كان أدبيا من رواية مولود معمري، إلا أن سيناريو الفيلم لم يتقيد بكامل القصة، بل تجاوز العديد من الحقائق المهمة والشخصيات المناضلة، التي تناولها الروائي مولود معمري، وتجاوزها أحمد راشدي، فحسب الدكتور محمود ابراقن فانه من خلال تصريحات الأديب مولود معمري صاحب الرواية " يعاب على فيلم الأفيون والعصا،أنه لم يحترم إطلاقا مضمون روايته، التي اقتبس منها الفيلم المذكور، حيث ابتعد كاتب السيناريو فيه عن التحليل الموضوعي للحرب التحريرية في منطقة القبائل، وهو التحليل الذي لا يتم إلا بنقل الوقائع التاريخية التي جرت بين الجانبين المتحاربين، كما أن السيناريست–حسب رأي الباحث محمود ابراقن- فقد همش الدور البطولي للعقيد عميروش، قائد الولاية الثالثة "[10].

على كل فان هذا الرأي يبقى للباحث محمود ابراقن ، لكن المخرج أحمد راشدي، ربما كان له العديد من الدوافع والأهداف التي جعلته يتناول أحداث الرواية بطريقته الخاصة، خاصة وأن تجسيد الأحداث، سيتحول من لغة الأدب إلى لغة الصورة، ومن الطبيعي أيضا وجود بصمة المخرج، أو كاتب السيناريو، ووجهة نظره في موضوع وقصة الفيلم، وهو ما جعل المخرج والسيناريست في فيلم الأفيون والعصا، يبقى على جانب من أحداث الرواية، و يلغى أحداثا أخرى كان معمري، يراها بالأحداث المهمة، التي كان لابد من تناولها، لمعالجة أحداث الثورة، في منطقة القبائل.

2.2 الأفيون والعصا-L'opium et le bâton بين الرواية وسيناريو الفيلم:

تشكل الرواية الأدبية إحدى أكثر الفنون تداخلا مع الفيلم السينمائي، ويعود ذلك لكون الرواية والفيلم معا يعتبران" شكلين للون واحد من ألوان الفنون، وهو فن السرد، سواء عن طريق اللغة المكتوبة، أو عن طريق الصور المرئية، إلا أن كليهما يقدم السرد لمجموعة من الأحداث من خلال الشخصيات... " [11]، حيث تعتمد الرواية على لغة الكلمة المكتوبة، بينما يعتمد الفيلم على عناصره الفنية الجمالية-السمعية والبصرية- لسرد الأحداث بتتابع صوري، وهو ما جعل تلك العلاقة الوطيدة بين فن الرواية والفيلم، حيت تمد الرواية السينما بالموضوعات، بينما يتم إخضاعها إلى عناصر الكتابة السينمائية من قبل السيناريست، فيتحول السرد فيها من مجرد حكي كلامي، إلى حكي وسرد عن طريق الصورة والصوت، وهكذا تتحول القصة من صورتها المدونة، الى صورة مرئية ومسموعة على الشاشة .

وتشهد السينما العديد من هذه التجارب،حيت استفاد العديد من السينمائيين، من الروايات الأدبية، واستلهموا منها سيناريوهات عدة، حيث أعادوا صياغتها إلى سيناريوهات سينمائية، من خلال التعامل مع مضامينها، بين النقل الحرفي وإضفاء الجانب الخيالي، ووجهات نظر كتاب السيناريو عليها، ومحتفظين بأحداث ووقائع مهمة تخللتها،أي أنه قد تمت معالجتها سينمائيا وتحويلها إلى سيناريوهات تراوحت مضامينها بين ما هو أصلي في الرواية المقتبس منها، وما له علاقة بذاتية ووجهة كاتب السيناريو، وكذا ما يخدم شكل الفيلم، وجماليته؛ وقد عرفت السينما الجزائرية العديد من هذه التجارب، من خلال أفلام

استلهمت مواضيعها من روايات أدبية منها ريح الجنوب للروائي عبد الحميد بن هدوقة، والأفيون والعصا لمولود معمري وتندرج هذه الأخيرة، في صنف الأدب الجزائري، المكتوب باللغة الفرنسية .

تعد رواية الأفيون والعصا، صورة مهمة عن الواقع المعيش إبان ثورة التحرير، حيث تم تناولها في الأدب الثوري الجزائري المكتوب بالفرنسية، من قبل الأديب والروائي مولود معمري، الذي كتبها «عام 1955 مباشرة بعد اندلاع الثورة التحريرية، والتي تمثل ظاهرة بالغة الأهمية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، في عهد الاستقلال، وتميزت هذه الرواية بنفس مواصفات أعماله الأدبية الأخرى بشكل عام، من حيث مسايرتها للوقائع السياسية، إضافة إلى تصوير المجتمع القبائلي، بكل خصائصه، كما تناولت الثورة التحريرية التي خاضها الشعب الجزائري، فقد صور بعمق، تلك المعاناة النفسية، التي عاشها الفرد الجزائري المثقف والبسيط والبرجوازي، أمام تلك التجربة "[12].

يدور موضوع الرواية حول مسيرة الطبيب بشير، الذي عاش في فرنسا لدراسة الطب، وبعدها استقر في أرض الوطن وفي العاصمة تحديدا، لممارسة مهامه بعيدا عن أجواء الحرب والدمار التي كانت تشهدها قرية ثالة مسقط رأسه وباقي المناطق من أرض الوطن، إلا أن الضغط الذي عاني منه الشعب الجزائري جراء النظام الاستعماري الجائر، والمعاناة الشديدة التي تعرض لها سكان قريته ثالة، دفعه إلى العودة إلى مسقط رأسه والانضمام إلى إخوانه المجاهدين وأخيه على في الجبال، للمشاركة في الثورة التحريرية، بعد أن تلقى دعوة من جيش التحرير للالتحاق بصفوفه والانضمام إلى إخوانه المجاهدين،حيث تحولت حياة الطبيب بشير، من الحياة الترف، إلى حياة المقاومة والنضال في الجبال، وهكذا تتأرجح أحداث الرواية بين سرد واقع الثورة في الريف الجزائري، وبين الثورة في المدينة، التي يخيم عليها الهدوء والاستقرار، حيث يوجد المستوطنون الأوربيون بكثرة، وهكذا عالجت الرواية في أول أجزائها مسيرة الدكتور بشير قبل الالتحاق بالثورة، وبعدها ، كما عالجت عديد الأفكار والأحداث، من خلال شخصيات عدة، تمثلت في الفئة المعارضة لفرنسا

الاستعمارية من مجاهدين وشخصيات بطلة ورئيسية، حاول الروائي أن يبرز نضالها وبطولتها ومواقفها الثورية، مثل شخصية الطبيب بشير وشخصية علي كرمزين للمقاومة والنضال وشخصية فروجة التي صور معاناتها من ضغط جنود الاحتلال، بعد استشهاد زوجها، وكذا الفئة المعارضة للثورة التحريرية التي تمثلت في شخصية القبطان وجنود الجيش الفرنسي، وخونة الثورة التحريرية، ومواقفهم الجبانة المؤيدة للمستعمر الغاشم، مثل شخصية العميل الطيب –الحركي- وهكذا تشتد المقاومة بين الثوار وجيش العدو، حسب ما تسرده الرواية، إلى أن يقوم المستعمر بنسف القرية، مما دفع أهاليها إلى الفرار والاتجاه إلى أعالي الجبال، حيث الثوار والمقاومة، وهكذا كانت هذه الرواية مثل باقي روايات مولود معمري المسايرة للوقائع السياسية والاجتماعية والثورية،إبان حرب التحرير، وتصوير المجتمع القبائلي بكل خصائصه، وتناول الثورة التحريرية التي انخرط فيها الشعب الجزائري بكل أفراده،من مثقفين وعادين، وبسطاء ...الخ [13]. محاولا أن يبرز صراع المبادئ والأفكار وصراع الثورة بين الثوار والخونة والاستعمار الفرنسي، وكذا بطولة الشعب الجزائري التي أشار إليها من خلال المجتمع القبائلي وتحديدا من قرية ثالة كرمز للثورة في الريف الجزائري؛ ولأن هذه الرواية حملت في طياتها دلالات ومعاني ومضامين كثيرة حول الثورة التحريرية، فكان لا مناص من تناولها في شكل فيلم سينمائي روائي ثوري، من قبل المخرج أحمد راشدي في فيلم يحمل العنوان نفسه، بعد أن أخضع هذه الرواية إلى قواعد الكتابة السينمائية، لتحول من نص أدبي إلى نص سينمائي –سيناريو- جاهز لعملية التصوير.

كانت هذه العملية حسب المخرج أحمد راشدي " **بمثابة ترجمة من لغة الأدب عند مولود معمري إلى لغة السينما ولا يخفي علينا أن الترجمة من لغة الأدب إلى لغة السينما في حد ذاتها خيانة أو ربما تعرض السينمائي إلى تجاوز بعض الشخصيات أو ربما بعض الموافق أو الأفكار التي كانت تعالجها الرواية الأمر الذي يدفع المخرج كي يتناول التيمة الثورية بفلسفته الخاصة ويحافظ على التوجه العام للموضوع و التيمة المعالجة**" [14]

ومنه اتجه أحمد راشدي إلى "أفلمة رواية الكاتب مولود معمري، التي كانت معروفة من قبل ومقروءة على نطاق واسع، ومحطّ سجالات متشعبة، كان يعرف أنه إنما يمشي وسط رمال متحركة. فكان أن بالغ في سلوك درب الحذر في تحقيق فيلمه، مسقطا الكثير مما كان في الرواية من نظرات ناقدة مريرة، ومبقيا على أشياء وأفكار عديدة، بقيت في سيناريو الفيلم، مثلما وجدت في الرواية،وهكذا تحوّل العمل على يديه إلى فيلم ثوري بطولي، مناهض للاحتلال الفرنسي، مركزا على عدة نقاط مهمة كانت في رواية معمري، وهي بمثابة المحاور الرئيسية، والأفكار الهامة، التي طرحت في سيناريو الفيلم والرواية معا، ويتعلق الأمر بمعالجة قضية معاناة الشعب، على اختلاف مستويات أفراده،إبان الثورة التحريرية، و التجربة التي خاضها أفراد المجتمع الجزائري آنذاك، من خلال شخصية الطبيب المثقف الدكتور بشير لزرق،الذي يتخلى عن حياته المهنية الهادئة والناجحة في الجزائر العاصمة، ليلتحق بالمقاومة المسلحة في الجبال، انطلاقا من قرية ثالة مسقط رأسه، لقد أدرك أن الثورة والوطن الموعود في حاجة إليه، وينضمّ إليه في هذه التلبية شقيقه علي لينخرط الاثنان في العمل الثوري، إلى جانب السكان البسطاء الطيبين، وهكذا وانطلاقا من أحداث الرواية، يحاول الفيلم أن يلقي نظرة لا تخلو من عمق في ملاحظة التفاصيل، على الأداء الثوري كما على سياسة المحتلّ، وأساليب قمعه وكيفية التصدي له.. ولاسيما حين يقدم جيش العدو على تدمير القرية، وقتل أبنائها، مجبرا الباقين على الالتحاق بالجبال الثائرة، بعد أن فشل في خطة كانت ترمي إلى إخضاع السكان، مستعينا في ذلك بالخونة والمهادنين...من خلال شخصية العميل الطيب..."[15] ، هذا فضلا عن العديد من الوقائع والمضامين التي تناولتها الرواية و سيناريو الفيلم معا، مثل دور المرأة ومعاناتها إبان الثورة التحريرية، من خلال إبراز "شخصية فروجة شقيقة علي والطبيب بشير، ومعاناتها جراء قمع المستعمر، وعملائه الخونة بعد استشهاد زوجها، حيث يظهر ذلك من خلال معاناتها، من قبل عناصر جيش العدو، بعد استشهاد زوجها، والاستغلال والقمع اللذان تسبب فيهما، العميل الطيب لهذه الشخصية "[16]. وغيرها من الأفكار التي تناولتها رواية الأفيون والعصا لمولود معمري، وكذا سيناريو فيلم الأفيون والعصا لأحمد راشدي، والتي يتم إدراكها من خلال مشاهدة الفيلم ذاته؛ وهكذا كانت قصة الأفيون والعصا محل

اهتمام عدد كبير من قراء رواية مولود معمري، وكذا محل اهتمام عدد كبير من المشاهدين لفيلم الأفيون والعصا لأحمد راشدي، ولأن السيناريو في الفيلم، مقتبس من رواية أدبية فان طريقة تناول وسرد أحداثها من شكلها الأدبي /الرواية، إلى سيناريو فيلم سينمائي روائي –ومن ثم إلى فيلم ثوري بالصورة والصوت، حتما كان بحاجة إلى إعادة تحويرها وإعدادها أو ربما تناولها من زوايا مختلفة في السيناريو، مقارنة بصورتها الأولى في شكلها الأدبي /الرواية .حسب رؤية السيناريست وتوجهه ووجهة نظره.

خاتمة :

باتت الرواية وأشكال الأدب الأخرى مصادر مهمة لاقتباس عديد التيمات في السينما بشكل عام وهو ما ينطبق على السينما الجزائرية التي اعتمدت على العديد من الانتاجات الأدبية مادة لها في حياكة انجح أعمالها الفنية على غرار كل من حسن طيرو ونوة والأفيون والعصا وريح الجنوب ...وغيرها .

وتعتبر رواية الأفيون والعصا لمولود معمري نموذجا مهما من الأدب الجزائري الذي غذى انتاجات السينما الثورية الجزائرية بتيمات كثيرة تناولت روح الثورة التحريرية في مضامينها وأعيدت ترجمتها داخل الشاشة السينمائية.

يعد فيلم الأفيون والعصا ترجمة للرواية أكثر مما هو اقتباس منها ذلك لان احمد راشدي أعاد ترجمتها من لغة الرواية أي لغة الأدب إلى لغة الصورة والصوت الأمر الذي جعله يجسد قصة الأفيون والعصا في فيلمه مبقيا على بعض من عناصر الرواية ومتجاوزا بعضا الآخر .

قائمة المراجع:

1. رائد محمد عبد ربه /عكاشة محمد صالح ، فن كتابة السيناريو دار الجنادرية للنشر والتوزيع – عمان/ الأردن الطبعة الأولى 2009 ص 23/22

2. ينظر محمود قاسم، الأدب في السينما ، - دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى /1418هـ/1998 م القاهرة /ص 11.
3. ينظر شريط السنوسي، الأدب والسينما، حدود التلاقي والتداخل في التجربة الجزائرية، مجلة آفاق سينمائية، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، العدد الأول 2013 ص26.
4. ينظر رائد محمد عبد ربه، عكاشة محمد الصالح، فن كتابة السيناريو - مرجع سابق ص 22.
5. خلفة بن عيسى، الرواية والرواية السينمائية، استجواب مع مجموعة من المبدعين، المؤسسة الوطنية للكتاب 3/ شارع زيروت يوسف الجزائر،د/ط 1988 ص9.
6. ينظر عدي عطا، اثر توظيف الحدث التاريخي في صياغة السيناريو وصناعة الفيلم السينمائي، دار البداية للنشر والتوزيع الأردن ط 1 /1432هـ/2011م ص125/126.
7. ينظر عدة شنتوف، السينما الجزائرية وحرب التحرير. دار الثقافة لولاية تسمسيلت، أبجديات للنشر والتوزيع/الجزائر د.ط /2013ص24/42/44/47.
8. عدة شنتوف، السينما الجزائرية وحرب التحرير المرجع نفسه ص 44
9. فيلم الأفيون والعصا، سيناريو و إخراج احمد راشدي-مقتبس من رواية لمولود معمري- إنتاج الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية 1970– بالألوان / التوقيت 2 سا و 10 دقائق.
10. محمود ابر اقن، ماهي السينما؟ الجزء 2، منشورات المبرق، وزارة الثقافة ، الجزائر.الطبعة 2014/1 ص148.
11. عدي عطا، اثر توظيف الحدث التاريخي في صياغة السيناريو وصناعة الفيلم السينمائي، مرجع سابق ص127.
12. نوال بن صالح الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر؛ العدد السابع 2011ص 225.
13. ينظر ايمان العامري ، صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية : جدلية المركز والهامش، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية جامعة الجزائر العدد 2015/10 ص184/185.
14. تصريح للمخرج أحمد راشدي في لقاء جمعنا معه في حصة تلفزيونية / المنتدى الثقافي/ إعداد وتقديم فرحات جلاب/ التلفزيون الجزائري 16/نوفمبر 2016.
15. .http://www.sanadfilmfund.com/ar/archive/2012/2012-11-11-Analysis-Opium.-
16. فيلم الأفيون العصا : سيناريو وإخراج احمد راشدي مقتبس من رواية لمولود معمري، مرجع سابق .